

الكتابة الهندية في العربية

Indian Writing in Arabic ©

Course material (Arabic)

AC1541- Core Course VIII

S5, BA Communicative Arabic (First Degree Programme) under CBCSS

University of Kerala

Prepared by Dr. N. Shamnad & T. Abdul Jaleel

المحتويات

• الوحدة الأولى

- ١.١ العلاقات الهندية العربية
- ١.٢ الإسلام في الهند
- ١.٣ العلاقات الثقافية
- ١.٤ تطور اللغة العربية في الهند
- ١.٥ الجامعات والمعاهد الإسلامية في الهند لخدمة اللغة العربية
- ١.٦ الأدب العربي في شبه القارة الهندية
- ١.٧ رواد الأدب العربي في الهند
- ١.٨ كيرالا وبلاد العرب
- ١.٩ الإسلام في كيرالا
- ١.١٠ تطور اللغة العربية في كيرالا
- ١.١١ أشهر الكتاب في العربية في كيرالا
- ١.١٢ الشعر العربي في كيرالا
- ١.١٣ أشهر الشعراء في العربية في كيرالا

• الوحدة الثانية : مختارات نثرية من الأدب العربي الهندي - I

- ٢.١ الشاه وليّ الله الدهلوي - المدينة العجمية عند بعثة الرسول ﷺ
- ٢.٢ أبو الحسن عليّ الندوي - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (المقدمة الثانية)

• الوحدة الثالثة : مختارات نثرية من الأدب العربي الهندي - II

- ٣.١ الشيخ زين الدين المخدوم الصغير - باب ظهور الإسلام في مليبار
- ٣.٢ الدكتور محيي الدين الألواني - نظرة الإسلام إلى الأديان الأخرى

• الوحدة الرابعة : مختارات شعرية من الأدب العربي الهندي

- ٤.١ ن.ك. أحمد مولوي - تزيان لداء الفؤاد
- ٤.٢ محمد أبو الصلاح الباقوي - مولانا أبو الصباح أحمد عليّ

• المصادر المهمة

الوحدة الأولى

١.١ العلاقات الهندية العربية

تتمتع الهند والعالم العربي بعلاقة وثيقة منذ القدم. ظهرت هذه العلاقة عبر التبادل الثقافي بين هاتين المنطقتين، والشواهد التاريخية تثبت هذه العلاقات وكونها غارقة في القدم. إن تاريخ علاقات الهند مع العالم العربي يعود إلى ٥٠٠٠ سنة. تدل الحفريات الأركيولوجية التي أجريت في الخليج وموهنجدارو Mohenjodaro وهاربا Harappa على نشوء هذه العلاقات في زمن مبكر. ومن الزمن القديم كانت هاتان الحضارتان في روابط مستمرة مع تبادل الأشياء والآراء والأشخاص والثقافة. ومع ظهور الإسلام، بلغت العلاقات بين الهند والعالم العربي مسارا مميزا بحركة الناس من الهند إلى العالم العربي وبالعكس في شكل الزيارات وهجرة الأيدي العاملة.

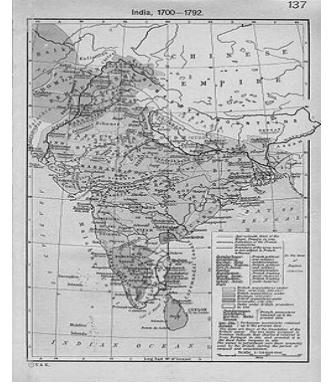
العلاقات التجارية

عرف العرب الهند في جاهليتهم بسبب رحلاتهم التجارية، فقد كانوا يختطفون إلى المناطق الساحلية للهند والسند، وعرفوا الأشياء التي تباع في أسواقها والناس الذين سكنوها. ومن ناحية أخرى كان الهنود يرحلون إلى العالم العربي ويشاركون حياة العرب اليومية، فاختلفوا معهم حتى تأثروا بحياتهم، وأثروا فيها بجميع نواحيها الفكرية والاجتماعية واللغوية. وقد أثرت التفاعلات التجارية المتواصلة بين العرب والهنود خلال هذه الفترة في لغة كل منهما وثقافتهما. ووصلت بعض السلع الهندية إلى العالم العربي، وسماها العرب بالهندي والمهند. وكان السيف الهندي مشهورا جدا في العالم العربي وأطلق عليه الهندي والمهند. وكثير من الكلمات الهندية مثل الصندل والقرنفل والنارجيل وغيرها كانت تحظى بشعبية كبيرة وتستخدم على نطاق واسع بين العرب. وكان العرب يستوردون من الهند كثيرا من المنتجات مثل الأحجار الكريمة والتوابل والأخشاب والألوان والأصباغ والفواكه والحيوانات والطيور، ومن ناحية أخرى كانت الهند تستورد بعض السلع العربية من البصرة ومصر والشام وأفريقيا، ومنها الخيل والعطور والأقمشة والمرجان والفضة والزعفران وغيرها. وقد ساهم العرب حتى في تسمية هذه المنطقة "هندوستان". وعزّز انتشار الإسلام هذا الربط بشكل هائل.

١.٢ الإسلام في الهند

وصل الإسلام إلى شبه القارة الهندية مبكرا، وتمثل أول قدوم للإسلام عبر محور بحري. وصل الإسلام إلى الهند أولا عن طريق التجار العرب الذين تعاملوا مع مواني سواحل الهند. فأصبح في كل ميناء أو مدينة اتصل بها العرب جماعة مسلمة. كذلك ظهر الإسلام أولا في سواحل كيرلا. ظل الإسلام في جنوب الهند يتسم بطابع الدعوة السلمية، وأقبلت الطبقات المنبوذة والمستضعفة على اعتناق الإسلام. ثم انتقل الإسلام من الساحل إلى المناطق الأخرى.

ثم دخل الإسلام إلى الهند عن طريق المحور الشمالي الغربي بوسيلة الفتح الإسلامي. كانت أولى الغزوات بالسند قادها محمد ابن القاسم الثقفي في سنة ٧٠٨ م، ثم شملت الفتوحات في مختلف أماكن الهند الشمالي الغربي، وانتشر الإسلام في الأماكن المفتوحة. لكن وصول الإسلام في القرن الحادي عشر والثاني عشر في صورة الفاتحين الآخرين مثل السلطان محمد الغوري أحدث أثرا بالغا وغيرَ خريطة الهند السياسية. فاستقر الحكم الإسلامي في الهند وقامت له دولة منذ أن بدأ السلطان الأفغاني محمود الغزنوي فتوحاته في الهند سنة ١٠٠١م.



وامتد الحكم الإسلامي في الهند لأكثر من ثمانية قرون، تعاقبت في أثنائها الدول والأسر الحاكمة. وازدهرت الحضارة الإسلامية على النحو الذي لا تزال آثارها باقية في الهند.

سلطنة دلهي

بعد وفاة السلطان محمد الغوري، بدأ حكم سلطنة دلهي عام ١٢٠٦. سلطنة دلهي هي سلسلة دويلات التي حكمت الهند، وهي: مماليك الهند (١٢٠٦-١٢٩٠)، والدولة الخلجية (١٢٩٠-١٣٢١)، وأسرة تغلق (١٣٢١-١٣٩٨)، وأسرة سيد (١٤١٤-١٤٥١)، وأسرة لودي (١٤٥١-١٥٢٦)، وأسرة صور (١٥٤٠-١٥٥٥).

دولة المغول في الهند

كانت إمبراطورية المغول في الهند آخر دولة حكمت الهند، ودام سلطانها نحو ثلاثة قرون خلال سنوات ١٥٢٦-١٨٥٧ م، منذ أن أسسها ظهير الدين بابر. ومن أشهر ملوك المغول: أكبر وشاه جهان وأورنكزيب. أصبحت الهند، منذ القرن السابع عشر، تواجه ضغوطا سياسية واقتصادية من طرف البرتغاليين أولا ثم البريطانيين. تم خلع آخر السلاطين محمد بهادر شاه سنة ١٨٥٧ م من طرف البريطانيين وأصبحت الملكة فيكتوريا تلقب باسم "إمبراطورة الهند". أخيرا، نالت الهند استقلالها من بريطانيا عام ١٩٤٧، وأصبحت الهند جمهورية ديمقراطية علمانية.

١.٣ العلاقات الثقافية:

أما العلاقات الثقافية المباشرة بين العرب والهنود فيبدأ تاريخها بعد ظهور الإسلام، وتحديدًا مع تأسيس الخلافة العباسية في منتصف القرن الثامن الميلادي، وكانت هذه الفترة بداية لتاريخ طويل من التواصل الثقافي الذي استمر عدة قرون. وكانت عملية التبادل الثقافي نشطة في مجال العلوم والفنون والدين والفلسفة والقيم الاجتماعية والأفكار والقيم الثقافية. وقد ترجمت الكتب الهندية إلى اللغة العربية في مواضيع مختلفة تتراوح بين الطب والرياضيات وعلم الفلك تحت رعاية الخلفاء العباسيين وخاصة تحت رعاية الخليفة هارون الرشيد والمأمون. وكان علم الفلك أحد العلوم التي عرفها العالم العربي لأول مرة من خلال ترجمة كتاب Sidhantha السنسكريتي في نهاية القرن الثامن. وبعد هذا، أصبح العلماء العرب على اطلاع على التطورات التي حدثت في مجال علم الفلك في الهند. ومن خلال ترجمة أعمال الرياضيات في أواخر القرن الثامن أصبح نظام العدد الهندي ومفهوم الصفر معروفًا لدى العرب. وقد علم العرب الرياضيات من الهنود، وسموها الرياضيات الهندية أو الأرقام الهندية، واستفاد الأوروبيون من الابتكارات الرياضية في الهند عن طريق العرب

وأطلقوا عليها الأرقام العربية. وقد وصل علم الطب الهندي (الأيورفيدا) إلى العالم العربي بشكل صحيح بعد ترجمة عديد من الأعمال الهندية الكلاسيكية حول هذا الموضوع إلى اللغة العربية تحت رعاية الخلفاء العباسيين.

وفي العصر العباسي، أصبحت القصص والحكايات الهندية مشهورة بين العرب بعد ترجمتها. كان كتاب "كليلة ودمنة" المترجم من قبل ابن المقفع من الأعمال الهندية الأدبية التي اكتسبت شهرة واسعة. وبعد العصر العباسي انخفض التفاعل الأدبي بين الهند والدول العربية، ولكن النهضة الثقافية في مصر في أواخر القرن التاسع عشر قادت إلى تشجيع تجديد الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الهندية وبالعكس. وترجمت أعمال بعض الشخصيات مثل طاغور ومحمد إقبال إلى العربية من قبل علماء من مصر ودول عربية أخرى. وهناك قائمة طويلة من العلماء الهنود الذين ساهموا في الحفاظ على العلوم الإسلامية بما فيها علوم القرآن والحديث والفقهاء واللغة العربية وآدابها.

١.٤ تطور اللغة العربية في الهند

دخلت اللغة العربية في الهند بواسطة تجار العرب، الذين يتجرون في سواحل الهند. فانتشرت العربية في أول الأمر في السواحل فقط. وبعد دخول الإسلام وانتشاره في سواحلها والمناطق الأخرى أخذت اللغة العربية تنتشر في جميع نواحي الدولة بواسطة الدعاة الإسلامية. ولهذا الانتشار جهتان أيضاً، جهة دينية وجهة سياسية، إذ انتشرت اللغة العربية في جنوب الهند بواسطة الدعاة، وانتشرت في شمال الهند تحت الدولة الإسلامية منذ بداية العهد العربي في السند. واستمر انتشار هذه اللغة في الجنوب في المجال الديني والتربوي في حين اضمحلت في الشمال في المجال السياسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، بل استمرت ونضجت في المجال الديني والثقافي. بدأت اللغة العربية والثقافة الإسلامية تتسرب إلى داخل أراضي الهند من جديد بجهود العرب الذين أسسوا دولة إسلامية مستقلة في المناطق الغربية للهند واستقروا فيها. كانت اللغة العربية لغة رسمية في معظم مناطق غوجرات حتى بداية العهد الغزنوي (٩٩٧ - ١١٥٢)، وقد أنجبت دويلة غوجرات عدداً كبيراً من العلماء المشهورين في الأدب العربي. وقد أصبحت مدينة أحمد آباد من المراكز العربية والإسلامية الكبرى، واستقبلت عديداً من التجار والعلماء العرب. إن للإمبراطورية المغولية (١٥٢٦ - ١٨٥٧م) دور عظيم في نشر العلوم الإسلامية والعربية في الهند.

الدافع الديني هو أهم العوامل التي ساعدت لتطور اللغة العربية وآدابها في أرجاء شبه القارة الهندية. ويعد القرآن أكبر عامل لتطور اللغة العربية، فنظر العلماء في القرآن واستخرجوا منه علوماً جديدة تدهش بها العقل، كما أضافوا إلى العلوم المتواجدة فروعاً عديدة. وبرعوا في مختلف المجالات من العلم والفن والمعرفة، فأتى العلماء المسلمون باستكشافات في الرياضيات، والفلك، والنجوم، والكيمياء، والطب، والجغرافيا، والاجتماع، والاقتصاد، والتاريخ، والفلسفة، والمنطق، وعلوم الدين، واللغة والقواعد، والأدب العربي. والحديث النبوي هو العامل الثاني الذي لعب دوراً بالغاً في نشر اللغة العربية في الهند أيضاً. إذ اهتم علماء الهنود بالحديث اهتماماً بالغاً، حتى ألف عديداً من الكتب في الحديث وفي علم الحديث. ويعتبر علماء الهند هم أكثر إنتاجاً في علم الحديث.

فقد سجلت اللغة العربية في شبه القارة الهندية وجوهاً من التفرد، ومن أهمها ما يلي:

١. تسربت نسبة كبيرة من الألفاظ العربية إلى اللغات الهندية عن طريق الفارسية.
٢. نشأت طائفة كبيرة من أهل شبه القارة ذات صلة بالعلوم الشرعية والعربية.
٣. كثرت المؤلفات العربية لعلماء الهند كثرة لافتة للنظر، وتفردوا بأشياء تندر أشباهها لدى الشعوب الأخرى.
٤. أنجب شبه القارة ولا يزال ينجب الكثير من الشعراء الذين نظموا قريضهم بالعربية.

الصحافة العربية في الهند

كان لظهور الصحافة العربية في الهند دور كبير في صيانة اللغة العربية وتوسيع دائرة نفوذها وتعزيز التواصل بين الهند والبلاد العربية، فبداية من جريدة "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" التي تعتبر أول جريدة عربية أنشئت في الهند في أكتوبر ١٨٧١م من مدينة لاهور، شهدت أوساط الهند العلمية والثقافية منطقة نشاط توصل المنتوج العلمي والأدبي بسرعة فائقة إلى القراء. ثم تتابع ظهور صحف عربية في الهند، فظهرت صحيفة "البيان" (لكنائز عام ١٩٠٢م)، و"الجامعة" (كلكتة عام ١٩٢٣م)، و"الضياء" (لكنائز عام ١٩٣٢م)، و"ثقافة الهند" (دلهي عام ١٩٥٠م)، و"البعث الإسلامي" (لكنائز عام ١٩٥٥م)، و"الرائد" (لكنائز عام ١٩٥٩م)، و"دعوة الحق" (ديوبند عام ١٩٦٥م)، و"صوت الأمة" (بنارس عام ١٩٦٩م)، و"مجلة المجمع العلمي الهندي" (قسم اللغة العربية جامعة عليكره الإسلامية، ١٩٧٦م)، و"الجامعة" (ملابرام عام ٢٠٠٦م)، وغيرها من المجالات، ولها دور ملموس في مخاطبة قضايا اللغة العربية ونشر العلوم الدينية في الهند.

١.٥ الجامعات والمعاهد الإسلامية في الهند لخدمة اللغة العربية

إن للهيئات والمدارس الحكومية وغيرها مساهمتها القيمة في صيانة العربية في الهند، فقد أنشئت في طول الهند وعرضها مئات من المدارس الدينية، وعرفت لدورها البالغ في نشر العلوم والثقافة الإسلامية والعربية في مختلف أدوار التاريخ، فلا تجد مدينة أو قرية في الهند إلا وفيها مدرسة تدرس فيها العلوم الدينية العربية. ولكل من المدارس أبناء هم جزء هام من مسيرة التأليف والترجمة في الهند. تزخر الهند حالياً بأكثر من مئتي جامعة حكومية، وتوجد في عدد منها أقسام للدراسات العربية والإسلامية، ومن أهم الجامعات التي تدرس فيها العربية والتي اشتهرت لإسهامها في التأليف وتحقيق المؤلفات العربية ونشرها وفي مجال الترجمة: جامعة عليكره، وجامعة دلهي، والجامعة المليية بدلهي، وجامعة جوهر لال نهرو بدلهي، وجامعة لكنائز، والجامعة السلفية بنارس، وجامعة باتته، وجامعة كلكتة، والجامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدر آباد، وجامعة بومبائي، وجامعة كالكوت، وجامعة كشمير، وجامعة كيرلا، وغيرها.

١. دار العلوم ديوبند

هي "أزهر الهند" أكبر وأقدم جامعة إسلامية أهلية في شبه القارة الهندية، لا تدانيها أية جامعة في الهند في الشعبية والمحورية. أنشئت دار العلوم في ديوبند بولاية أوتربراديش في ١٨٦٧م بعدما قضى الإنجليز على الحكم الإسلامي، وفشلت ثورة ١٨٥٧م في الهند. بدأت كمدرسة صغيرة، ثم تطورت إلى جامعة إسلامية تهدف إلى تعليم الكتاب والسنة على المستوى العالي. يتعلم فيها الآن أكثر من ثلاثة آلاف طالب. والعلماء المتخرجون منها يقومون بنشاطات متنوعة في الريادة الدينية والمجالات الاجتماعية والسياسية والعلمية. أقام خريجوها أكثر من مائتي ألف مدرسة في الهند، وباكستان، وبنغلا ديش، ونيبال، و البلاد المجاورة.

٢. دار العلوم ندوة العلماء

تأسست دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ في ولاية أوتربراديش سنة ١٩٢١ بيد الشيخ محمد عليّ مونكيرى وزملائه. تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط الاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع. عنيت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم وتدرسه ككتاب كل عصر وجيل، كما عنيت باللغة العربية. واهتمت مكتبة ندوة العلماء على حفظ المخطوطات التي تبلغ حوالي أربعة آلاف مخطوطة. ومن أشهر علماء هذه الجامعة أبو الحسن عليّ الندوي.

٣. جامعة عليكره الإسلامية

أسس سرّ سيد أحمد خان، في ١٨٧٥م، كلية الأنجلو أورينتال لتتقيف المسلمين بالثقافة الإسلامية والعربية والغربية. وأصبحت هذه الكلية بعليكره في أوتربراديش جامعة في عام ١٩٢٠م، واشتهرت باسم جامعة عليكره الإسلامية Aligarh Muslim University. بدأت الدراسة العربية فيها منذ عام ١٩٢٠م. لهذه الجامعة دور كبير في تطور اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية. تقدم جامعة عليكره الإسلامية أكثر من ٢٥٠ دورة في الفروع التقليدية والحديثة من العلوم. وقد بدأ عمل المركز المحلي للجامعة في برنتلمانا Perintalmanna في ولاية كيرالا.

٤. الجامعة المليية الإسلامية

قد انفصل عن جامعة عليكره بعض متخرجيها أيام حركة الخلافة والوطنية الهندية، وأسسوا جامعة شعبية مستقلة في السياسة في سنة ١٩٢٠م، يتزعمهم مولانا محمد علي، وقد انتقلت من عليكره إلى دلهي، واشتهرت باسم "الجامعة المليية الإسلامية". كانت العربية تدرس في هذه الجامعة منذ تأسيسها، إلا أن القسم العربي افتتح في عام ١٩٧٢م. يمتاز أسانذتها وإدارتها - وكان على رأسها الدكتور ذاكر حسين رئيس الجمهورية الهندية سابقا - بنزعتهم الوطنية وروح التضحية والإيثار. تعتبر الجامعة اليوم من بين المؤسسات الوطنية الأكثر أهمية في الهند.

٥. دائرة المعارف في حيدرآباد

تأسست دائرة المعارف في حيدرآباد عام ١٨٨٨م بتوجيه العلامة حسين البكرامي، ومولانا عبد القيم، ومولانا أنوار الله خان أستاذ سمو "النظام". وكان هدف الدائرة تجميع المخطوطات وصيانتها وتحقيقها ثم طبعها، وخاصة تلك المخطوطات التي يرجع تاريخها إلى ما بين القرن الأول والقرن الثامن الهجريين، قامت الدائرة بنشر مجموعة كبيرة من المخطوطات شملت مختلف العلوم الإسلامية. وهكذا برزت إلى الوجود مجموعة من المعلومات القيّمة، وقد نشرت أكثر من ١٥٠ كتابا قيما من كتب الحديث والتاريخ والعلوم الرياضية والحكمة، فكانت خدمة جليلة للعلم والدين.

٦. جامعة كالكوت

أسست جامعة كالكوت في عام ١٩٦٨م قريب مدينة كالكوت في ولاية كيرالا، وبدأت فيها دراسة العربية وآدابها في عام ١٩٧٦م، وتدرس الآن العربية على مستوى الماجستير وماجستير الفلسفة والدكتوراه. ويعد القسم العربي فيها من أكبر قسم عربي في كيرالا، وهو مشهور بخدمته الجليلة للغة العربية، وتخرج منه أكثر من خمسين دكتوراً.

٧. جامعة كيرالا

أسست جامعة كيرالا في مدينة ترونتبرام في ١٩٣٧م، وبدأ القسم العربي في كلية الجامعة التابعة لجامعة كيرالا في عام ١٩٤٢م، وبدأ تدريس العربية كلغة ثانية لطلاب بكالوريوس، ثم على مستوى الماجستير وماجستير الفلسفة، والدكتوراه. وأسس القسم العربي لجامعة كيرالا في كاريپاوتام في ٢٠٠١. بدأ القسم العربي في كلية MSM بكايامكلام في ١٩٧٩، ومن الكليات الأخرى التي تدرس العربية كلغة ثانية تحت هذه الجامعة: كلية TKM بكولام، وكلية المنانية ببانغود، والكليات الحكومية في ترونتبرام، وأتينغال، وكولام، وغيرها.

١.٦ الأدب العربي في شبه القارة الهندية

ومن أهم السمات التي يمكن ملاحظتها على اللغة العربية وأدبها في شبه القارة الهندية ما يلي:

١. غلب الاهتمام بالعلم الشرعي على أكثر الأدباء، فمنهم المحدث والمفسر والأصولي والفقهاء.
٢. تقليد أثر الشعراء السابقين، فانحصر أغلب شعرهم في المدح والثناء.
٣. كثير من شعراء شبه القارة مقلون في نظم الشعر العربي.
٤. تأليف الأدب بلغات أخرى (الأردية والفارسية خاصة) يكاد يكون وصفاً عاماً لجميع أدباء شبه القارة.

١.٧ رواد الأدب العربي في الهند

١. الشاه ولي الله الدهلوي (١٧٠٣-١٧٦٢ م)

هو مفكر ومصلح إسلامي هندي. يمتاز الدهلوي من بين علماء الهند بأسلوبه الخاص في البحث الإسلامي. ومن أهم ما قام به الشيخ هو عملية التدريس وإعداد الرجال. اشتهر الدهلوي بفصاحته في العربية نظماً ونثراً. وكان من العلماء الذين عملوا لتوطيد ركن علم الحديث في الهند. قام الإمام بعمل تجديدي لا يوجد له مثيل في أعمال من سبقه ومن جاء بعده. كان الإمام الدهلوي غزير الإنتاج في مجالات شتى، من كتبه: الفوز الكبير في أصول التفسير، والإرشاد إلى مهمات الإسناد، والمصطفى شرح الموطأ، ورسالة الإنصاف، والتفهيمات الإلهية، وفيوض الحرمين.

"حجة الله البالغة" هو أهم كتب الإمام الدهلوي على الإطلاق، كتبه باللغة العربية، ويرى بعض المحققين أنه أول كتاب يدون في موضوع فلسفة الدين عموماً وفي فلسفة الإسلام خصوصاً، تحدث فيه عن أسرار الشريعة الإسلامية وفلسفة التشريع، وقدم الشيخ من خلاله تصوره الكامل للنظام الحضاري المتكامل للإسلام. وهو كتاب متداول معروف، وقد ترجم إلى لغات كثيرة منها اللغة الأردية، واللغة الفارسية، واللغة الإنجليزية.

٢. غلام علي آزاد البلغرامي (١٧٠٤-١٧٨٦ م)

البلغرامي هو مؤرخ وشاعر هندي عربي. كان من أعاجيب الزمان في النحو واللغة والشعر والتاريخ. كان البلغرامي شاعرا مشهورا وكان من مداح النبي ﷺ. وقد أفاض في مدح النبي ﷺ حتى لقب بـ "حسان الهند". تعد أعماله النظرية دعما كبيرا لمسيرة تقدم الأدب العربي الهندي، ومن أبرز أعماله: ضوء الدراري شرح البخاري، وتسليية الفؤاد في قصائد آزاد، وشفاء العليل، وغزلان الهند، ومآثر الكرام في تأريخ بلكرام. وتبدو شاعريته بكل وضوح في عمله البارع "السبعة السيارة". "سبحة المرجان في آثار هندوستان" هو عمله القيم الذي خلد اسمه والذي يجعله في صفوف الكتاب والمنشئين العملاقة في الهند، وهو موسوعة لعدة علوم وفنون، يدل على أن كاتبه صاحب رؤية متقدمة. ألفه البلغرامي في أربعة فصول عن مساهمة الهنود في العلوم الإسلامية والعربية واللغوية والتربوية والقصص العامية والشعراء.

٣. محمد أنور شاه الكشميري (١٨٧٥-١٩٣٣ م)

هو فقيه ومحدث هندي كبير، وإمام في علوم القرآن والحديث. كانت جهود الشيخ الكشميري في مواجهة القاديانية أكثر من جهود العلماء المعاصرين. قد ترك الشيخ آثارا في صورة التلامذة والكتب المؤلفة، فأما عدد تلاميذه فيزيد على ألفين. وقد ألف مؤلفات عديدة منها : فيض الباري في شرح البخاري، وتعليقات على صحيح مسلم، عرف الشذى على جامع الترمذي، وعقيدة الإسلام في حياة عيسى، وخاتم النبيين، وأصول الدعوة الدينية، ونظام الأخلاق في الإسلام، ومشكلات القرآن.

٤. عبد الحي الحسني (١٨٦٩-١٩٢٣ م)

كان عبد الحي الحسني الملقب بابن خلكان الهند عالما ومؤرخا وطبيبا يونانيا، ويعتبر أول من ترجم لعلماء الهند على نطاق واسع من أول عهدهم حتى القرن الرابع عشر الهجري. كان عبد الحي مدير شؤون ندوة العلماء بلكنؤ. كان راسخ القدم في آداب العربية والأردوية والفارسية، وكان شاعرا مجيدا إلا أنه لم يكثر فيه. كان بارعا في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ، ولم يكن له نظير في العلم بأحوال الهند ورجالها في عهد الدولة الإسلامية. من مؤلفاته: "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، و"الثقافة الإسلامية في الهند" أو معارف العوارف، و"الهند في العهد الإسلامي" أو جنة المشرق ومطلع النور المشرق، وشرح المعلقات السبع، وريحانة الأدب وشمامة الطرب. نزهة الخواطر كتاب كبير في ثمانية أجزاء الذي يتضمن تراجم علماء الهند من أعيان المسلمين من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري.

٥. أبو الحسن علي الحسن الندوي (١٩١٤-١٩٩٩ م)

أبو الحسن علي الحسن الندوي هو العالم الإسلامي الأشهر الذي أنجبته الهند الحديثة. كان مدرسا ومؤرخا ومحاضرا وكاتبا ومحركا مشهورا. عين مدرسا في دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٣٤م، وكان محررا لمجلة الندوة والرائد. زار كثيرا من البلدان العربية والإسلامية، واشترك في العديد من المؤتمرات الدولية، وألقى محاضرات عدة في جامعات بلاد العرب. أسس الندوي المجمع الإسلامي العلمي في لكهنؤ عام ١٩٥٩م. نال الندوي جائزة الملك فيصل السعودية سنة ١٩٨٠

للخدمة الإسلامية. تشهد كتاباته بالعربية على قوته في التأليف. ألف الندوي مئات من الكتب، وترجم كثيرا منها إلى لغات عديدة. من أهم مؤلفاته: رجال الفكرة والدعوة في الإسلام، والمسلمون في الهند، ومختارات من أدب العرب، وقصص النبيين، والقراءة الراشدة، والطريق إلى المدينة، والأركان الأربعة، والقادياني والقاديانية، والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، وفي مسيرة الحياة.

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: يعد هذا الكتاب من أعماله الرائعة الذي يعالج واقع العالم والمسلمين. والكتاب من أوله إلى آخره نداء للمسلمين في العالم كله لاستعادة روحهم وثقتهم بأنفسهم والاستمسك بالقيم الدينية والحضارية والثقافية التي كان عليها الرعيل الأول من الأمة. وقد خصص هذا الكتاب فصلا للمقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، كما ترجم إلى عدة لغات عالمية.

١.٨ كيرالا وبلاد العرب

وكانت العلاقات بين الهند والعرب في جنوب الهند على مسار مختلف، فقد جاء العرب إلى شمال الهند كفاتحين ومارسوا قوتهم السياسية. أما في الجنوب فلهم تاريخ مختلف لوصولهم، فقد جاءوا كمسافرين وتجار وأحيانا دعاة. ولم تكن العلاقات تستند إلى الخصومة السياسية بل إلى الصداقة والمحبة، ووفرت هذه العلاقة فرصة ملائمة لانتشار الإسلام والتواصل الفكري بكل سهولة. تاريخ مليبار حافل من الروابط الدولية. وصلت الديانات اليهودية ثم النصرانية ثم الإسلام أولا في سواحل كيرالا. أشار العهد القديم والإنجيل إلى التوابل الهندية المستوردة من مليبار. قد زار العديد من المؤرخين العرب مليبار، وكتبوا عنها ومنهم سليمان وابن بطوطة. كان عرب شبه الجزيرة العربية لاسيما جنوبها قد تواصلوا مع مليبار منذ آلاف من السنين للتجارة والاستيطان ولنقل المنتجات الهندية إلى مختلف أنحاء العالم عن طريق عدن وحضرموت وعمان. ثم حدثت تحركات ديموغرافية بين الخليج ومليبار.

١.٩ الإسلام في كيرالا

جرت مباحثات عديدة بين المؤرخين حول موضوع دخول الإسلام في كيرالا. يقول بعض المؤرخين إن الإسلام دخل في كيرالا في عصر الرسول ﷺ، عندما يقول بعض المؤرخين أنه دخل فيها في القرن الثاني الهجري. ولكن الدراسات العديدة تؤكد أنه دخل فيها في عصر الرسول ﷺ. قد ظهر الإسلام لأول مرة في منطقة مليبار من ولاية كيرالا في جنوب الهند. كانت التجار العرب يجيئون إلى مليبار في عهد الجاهلية لشراء الفلفل والقرنفل. يعلق بعض المؤرخين وصول الإسلام في كيرالا بسفر وفد من العرب إلى سيلان Ceylon لرؤية أثر قدم آدم (ع) الراسخ في جبل آدم المعروف. وفي أثناء الرحلة، نزل هذا الوفد في ميناء كدنگلور عاصمة بلاد كيرالا آنذاك، فاتصل بهم ملك هذه البلدة شيرمان برمال. أدت الحوادث إلى رحلة الملك إلى بلاد العرب وإسلامه، ثم انتشر الإسلام في مختلف أماكن كيرالا. وتوجد في مدينة كنور بشمال مليبار أسرة مالكة مسلمة تعرف باسم "أركل راج ومشم"، وتدل الوثائق التاريخية أن هذه الأسرة يرجع أصلها إلى الملك شيرمان برمال. وقد وصل المسلمون تجارا واستقروا في مليبار حيث عرفوا فيما بعد باسم "مابيلا". شيّدوا أول مسجد في مليبار

في عام ٦٢٩ في بلدة ميتالا بكدنغلور. ثم بني مساجد كثيرة في مختلف أماكن كيرلا مثل شاليام، وتازاتانغادي، وكولام، وكاسركود، وفوناني. وكانت هذه المساجد مجلسا للمسلمين في حياتهم اليومية والدينية. يوجد الآن في كيرلا العديد من المؤسسات الإسلامية، ولها إسهامات قيمة في نهضة المسلمين بكيرلا.

١.١٠ تطور اللغة العربية في كيرالا

قد بدأ تعليم اللغة العربية في كيرالا غير منتظم من القرن الهجري الأول أي منذ بداية نشر الإسلام فيها. ولكن كان منحصرا في المساجد وفي بعض الكتابات التقليدية.

المدارس الدينية

قد نشطت حركة المدارس الدينية في الخمسينات للقرن العشرين. يبلغ مجموع المدارس الإسلامية اليوم أكثر من اثني عشر ألف، يديرها مختلف الجمعيات الإسلامية، ويبلغ مجموع الطلبة فيها حوالي مليون ونصف. درس في هذه المدارس المواد الإسلامية واللغوية من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية العليا، بواسطة اللغة المحلة (مليالم / عربي مليالم) في المرحلة الابتدائية، وبواسطة العربية من المرحلة الثانوية.

الكليات العربية والإسلامية

توجد في كيرالا أكثر من مائتي كلية شرعية وعربية، تديرها لجان خاصة تنتمي إلى جمعيات إسلامية. وفي الكليات الشرعية يتعلم الطالب جميع العلوم الدينية من الفقه، والحديث، والتفسير، والتصوف، والآداب، والنحو، وغيرها. يحصل الطلاب من بعض الكليات الشهادة المعترفة لدى الحكومة مثل أفضل العلماء أو البكالوريا في الآداب العربية والماجستير في العربية وآدابها وغيرها. من هذه الكليات: دار العلوم بوازاكاد، وروضة العلوم بفاروق، ومدينة العلوم بفليكال.

المدارس الحكومية والجامعات

في كيرالا تسهيلات كثيرة لدراسة العربية. قد أقرت حكومة كيرلا اللغة العربية كلغة ثانية في المناهج التدريسية من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية العليا. ويدرس في هذه المدارس ملايين من الطلاب. وكذلك هناك دوائر مختلفة في العربية التي تقدمها كل من الجامعات في كيرالا. ومن هذه الدوائر البكالوريا والماجستير وماجستير الفلسفة والدكتوراه في العربية، ودوائر شهادة في العربية الوظيفية والترجمة. ومن الجامعات التي تقدم الدوائر في العربية جامعة كاليكوت، وجامعة كيرالا، وجامعة كنور، وجامعة مهاتما غاندي. وتعمل تحت هذه الجامعات عديدة من الكليات المشهورة.

١.١١ أشهر الكتاب في العربية في كيرالا

١. الشيخ زين الدين المخدوم الصغير (١٥٣٢-١٥٨٣)

هو عالم وفقه ومؤرخ مشهور من أهالي كيرلا. هو ابن الشيخ محمد الغزالي بن زين الدين المخدوم الكبير. تولى الزعامة الدينية بالديار المليبارية عامة، وزعامة قرية فناني على وجه الخصوص. كان الشيخ متضلعا في التفسير والحديث والفقه

والتاريخ واللغة، وقد توسعت دائرة فكره العلمية لاتصاله بالعلماء البارعين داخل البلاد وخارجها. اشتغل مدرسا في المسجد الجامع الكبير بفناني وقضى هناك مدة ٣٦ سنة. وهو في هذه الفترة لم يكن عالما منزويا في زوايا المسجد، بل كان سياسيا تزعم الأمة الإسلامية في هذه الديار في جميع نواحي حياتهم، كما تصدى لمواجهة الاحتلال البرتغالي، وبذل كل ما في وسعه لطرده البرتغاليين من وطنه. له عدة مؤلفات بالعربية: منها: "فتح المعين بشرح قرّة العين" في الفقه الشافعي، وإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد، وشرح الصدور في أحوال الموتى والقبور.

تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين: هو أول كتاب ألف في تاريخ كيرالا بيد واحد من أبناءها، وكتاب اشتهر به المؤلف وذاع صيته في الآفاق. فقد نال اهتماما بالغا في العالم بأسره وذلك لسببين رئيسين: السبب الأول هو المعارضة للاحتلال البرتغالي وعدوانهم، والسبب الثاني هو أنه أول كتاب في تاريخ مليبار الموثوق به. طبع الكتاب في العربية في البرتغال، في عام ١٨٩٨م، وبعد ذلك ظهرت له ترجمات عديدة في اللغات الإنجليزية، واللاتينية، والفرنسية، والألمانية، والإسبانية، والتشيكية، والفارسية، والأردية، والغجراتية، والكنادية، والتاميلية، والمليالية وغيرها. يتحدث الشيخ المخدوم فيها عن أحكام الجهاد، وبدء ظهور الإسلام في مليبار، والعادات والأخلاق الغربية التي شاعت بين هندوس مليبار، كما يذكر عن وصول البرتغاليين إلى مليبار ومقاومة أهل مليبار ضد البرتغاليين. والكتاب في الواقع شاهد عيان للأحداث التي وقعت في مليبار في القرن السادس عشر بعد الاحتلال البرتغالي الاستعماري.

٢. الدكتور محيي الدين الألواني (١٩٢٥-١٩٩٦)

محيي الدين الألواني عالم ومدرس وكاتب ومحرر ومذيع مشهور من أهالي كيرالا. بعد دراساته في كيرالا، توجه محيي الدين الألواني في ١٩٥٠ إلى مصر ليدرس في جامعة الأزهر. وفي أثناء أقامته بالقاهرة، كانت الصحف والمجلات تنشر له مقالات كثيرة في شتى الموضوعات. وكان يتولى حينذاك منصب رئيس التحرير لمجلة "البعوث" وهي لسان البعثات العلمية في القاهرة. وفي ١٩٥٥م، وعين الألواني مديعا في القسم العربي بالهيئة الإذاعية الهندية في دلهي. في ١٩٦٥م، عين مدرسا في جامعة الأزهر لتدريس المواد الإسلامية. وفي ١٩٧٠، عين رئيسا لهيئة تحرير مجلة "صوت الهند" الصادرة عن سفارة الهند بالقاهرة. وفي ١٩٧٧م، التحق الألواني بالجامعة الإسلامية بالمدينة أستاذًا. ثم عاد الألواني إلى كيرالا ليقضي هناك بقية عمره في خدمة الأمة. وهناك التحق بكلية الدعوة وأصول الدين بمدينة كالكوت عميدا لها، وتأسس كلية أزهر العلوم في مدينة ألواي، كما تولى ترجمة تفسير "في ظلال القرآن" لسيد قطب.

ألف الدكتور الألواني ١٨ كتابا في العربية، وخمسة كتب في الإنجليزية، وثلاثة في المليالية، ومئات من المقالات التي نشرت في مجلات بلاد العرب. ترجم الألواني بعض الكتب العربية إلى اللغات الهندية، كما ترجم بعض كتبها إلى العربية مثل تعريب رواية "تشمين" لتكازي. ومن أهم مؤلفاته: الأدب الهندي المعاصر، وقضية فلسطين، ترجمة "كتاب الهند" للبيروني، ترجمة في "ظلال القرآن"، الإسلام والقضايا الإنسانية. "الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية" هي رسالته التي أعدها لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر. وهو يتناول تاريخ دخول الإسلام إلى الهند وانتشار الدعوة الإسلامية وعوامل انتشارها وتطور العلوم والثقافة الإسلامية واللغة العربية في ربوعها.

١.١٢ الشعر العربي في كيرالا

للشعر العربي في كيرالا تاريخ طويل. لعل أول ما قرض فيه الشعر في كيرالا هو في الأحكام الدينية. فنظموا أولا المقطعات الصغيرة ثم الأبيات ثم القصائد حسب الحاجة الدينية وغيرها. إن أول قصيدة لأهل كيرالا هو تخميس "البردة" للقاضي أبي بكر بن رمضان الشالياتي المتوفى سنة ١٤٩٠م. وكذلك الشيخ زين الدين المخدوم الكبير الذي نظم قصيدة "هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء" و"تحريض أهل الإيمان إلى جهاد عبدة الصلبان". فالقاضي الشالياتي والشيخ زين الدين يعرفان من أوائل شعراء العربية في كيرالا. ثم جاء القاضي محمد بقصيدة "الفتح المبين" الشهيرة في بيان الحرب الشديد بين الملك السامري والبرتغاليين في مليبار. والجيل الثاني من الشعراء يبتدئ من عصر السيد الجفري المتوفى سنة ١٨٠٢م. ويعد من هذا الجيل القاضي عمر البلنكوتي والقاضي أبو بكر الكاليكوتي، فهم شعراء مجيدون. ولهم أشعار ممتازة بانطباع عصرهم في المعاني والألفاظ التي تظهر عواطف مختلفة في الموضوعات والمناسبات. والجيل الثالث من شعراء كيرالا هم الذين دخلوا بشعرهم جميع مداخل الحياة الإنسانية. وفي مقدمهم أبو ليلي محمد بن ميران، ومحمد الفلكي، وأبو الرحمة محمد الفيئي. تتعكس أشعار هذا الجيل الدعاوي المختلفة الدينية في العقائد والعادات والتقاليد التي توجد بين مسلمي كيرالا. وكان لكل شعراء في كل جمعية مكانة رفيعة في مجتمعه، كما كان لكل منهم صيت كبير في المجالات الأكاديمية. قد شاعت المدائح والترحيب كثيرا في الشعر العربي في كيرالا. وكان الشعراء من قديم يمدحون العلماء والأمراء الذين يفدون إليهم زوارا من داخل أو خارج بلاد الهند. ومن أحسن من قرض في هذا الموضوع الفلكي ومحي الدين علي وغيرهم. المرثي هي الأكثر في الأشعار العربية في كيرالا، لأن موت الأقارب والعظماء حرض الشعراء على فرط الحزن بموتهم. ومن الشعراء المشهورين في الرثاء: أبو ليلي والفلكي والفضفري والفيئي. والمراسلات الشعرية أيضا من الأشعار الهامة، وكانوا يرون فيها تمتع الإخبار وتمتع الذوق الأدبي.

عصر النهضة الحديثة

يعد القرن التاسع عشر عصر النهضة الحديثة في الشعر العربي في كيرالا. ويوجد كثير من الأشعار في هذا القرن بالنسبة إلى القرون السابقة. وأشعار هذا القرن متميزة بتنوع الأساليب والجدة في المعاني والعذوبة في الألفاظ والبراعة في الخيال. ومن المتقدمين في هذه الطبقة القاضي عمر البلنكوتي، والقاضي أبو بكر بن محي الدين الكاليكوتي. ومعظم أشعار هذه الطبقة مخطوطة إلا بعض الأشعار للقاضي عمر البلنكوتي فهي مطبوعة.

العصر الحديث:

والشعراء في هذا العصر اختلفوا اختلافا كاملا في من عناصر الشعر أو الأدب، ولكنهم لم يبلغوا مبلغ الشعراء الذين ذكروا بالفحول. وأما أساليبهم فهي متنوعة حتى أن لبعضهم أسلوبا يختص به ولا يقلد غيره. ومن مشاهير هذه الطبقة عبد الله النوراني، وأبو سلمى، وعبد القادر الفضفري. وليس لأحد منهم ديوان يجمع أشعاره كاملا إلا عبد القادر الفضفري صاحب ديوان "جواهر الأشعار".

١.١٣ أشهر الشعراء في العربية في كيرالا

١. القاضي أبو بكر بن رمضان الشالياتي (١٤٢٩-١٤٨٠)

كان القاضي أبو بكر بن رمضان شاعرا كبيرا وخطيبا مصقعا وأديبا بارعا ومحققا في كل فن. هو الشاعر الأول الذي وصلت إلينا أشعاره. ومن مؤلفاته: الوردة الذكية في تخميس قصيدة البردة، وراحة الفؤاد في تخميس بانث سعاد.

٢. المخدوم زين الدين بن عليّ المعبري (١٤٦٦-١٥٢١)

ولد زين الدين المخدوم الكبير في بلدة كوتشن. وهو الذي بنى الجامع الكبير بفنان، وشرع درسه بهذا المسجد الكبير، فالتحق به الطلاب من مختلف أنحاء كيرالا ومن خارجها. كان المخدوم من أوائل الشعراء، وله تأليفات كثيرة نظما ونثرا. ومن أشعاره: "هداية الأذكياء إلى طريقة الأولياء": وهي قصيدة طويلة في التصوف التي كانت متداولة في مليبار وإندونيسيا وغيرها من البلاد، و"تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان" قصيدة يصف فيها الشاعر الشدائد المؤلمة التي أصابت شعب كيرالا بأيدي البرتغاليين، ويحرض الشاعر المسلمين على الجهاد ضد البرتغاليين الأجانب.

٣. القاضي محمد بن عبد العزيز (١٥٧٧-١٦١٦)

القاضي محمد من رواد شعراء العربية بكاليكوت في أسرة القضاة. وقد نال القاضي محمد قبولا واسعا في أوساط المسلمين والهنالك على حد سواء. وذلك بفضل موقفه الحاسم من المستعمرين البرتغاليين. للقاضي نحو خمسة عشر كتابا، وأكثرها منظومة في العلوم الإسلامية والعربية والتاريخ. كان القاضي محمد من أوائل الشعراء، ومن مؤلفاته المشهورة: قصيدة "الفتح المبين"، و"إلى كم أيها الإنسان". "فتح المبين للملك الذي أحبه المسلمون" من أهم المراجع التاريخية التي تسلط الضوء على تاريخ المقاومة وحركة التحرير الوطني في مليبار قبل خمسة قرون. ومما يزيد من أهمية الكتاب أن مؤلفه معاصر للحوادث. تصف القصيدة حادثة فتح قلعة شاليم التي شيدها البرتغاليون على أيدي جنود ساموتري. والقصيدة مرآة صادقة للحياة الاجتماعية التي كانت تسودها المؤاخاة والألفة بين المسلمين والهنادكة.

٤. السيد شيخ بن محمد الجفري (١٧٢٤-١٨٠٧)

كان السيد شيخ الجفري عالما قديرا ومبلغا نشيطا وشاعرا كبيرا. ولد الجفري في حضر موت. وارتحل من بلده إلى كاليكوت واستوطن هناك. كان الجفري من شعراء عصر النهضة الحديثة، ومن أشعاره: رسالة إلى بعض العلماء، والإرشادات الجفرية.

٥. القاضي عمر البنكوتي (١٧٥٧-١٨٥٢)

هو العالم الفقيه والشاعر المرتجل الذي سجلت بطولاته في تاريخ مسلمي مليبار. اشتهر القاضي عمر بكفاحه ضد الإنجليز وسياستهم، وخصوصا في منتصف القرن التاسع عشر. ألف القاضي عمر خلال حياته الحافلة بالعلم والكفاح كثيرا من المؤلفات، كان القاضي عمر من شعراء عصر النهضة الحديثة، ومن أعماله: القصيدة العمرية في المدائح النبوية. تعرف

هذه القصيدة أيضا باسم "صلى الإله" حسب مطلع القصيدة. أنشدها عند باب الروضة الشريفة بالمدينة المنورة. ومن آثاره الأخرى: مقاصد النكاح، ونفائس الدرر، ولاح الهلال، وقصيدة في مدح النبي ﷺ، وأصول الذبح.

٦. القاضي محي الدين بن علي (١٧٨٧-١٨٥٢)

القاضي محي الدين بن علي الكاليكوتي شاعر مشهور من شعراء عصر النهضة الحديثة. وهو معاصر السيد الجفري. تتميز أشعاره بالألفاظ والأفكار الجيدة. ومن أشعاره المشهورة: قصيدة البشارة العميمة في قصة النصر العظيمة.

٧. القاضي أبو بكر بن محي الدين الكاليكوتي (ت. ١٨٨٣)

وكان القاضي أبو بكر قديرا باللغة العربية وشاعرا كبيرا وبارعا في التاريخ الإسلامي. كان من شعراء عصر النهضة الحديثة، وللقاضي أبي بكر مؤلفات وقصائد. ويعرف له ٢٠ قصيدة في الموضوعات المختلفة، منها الهزمية النبوية، والتشوق إلى زيارة الروضة المشرفة، وشرح نصيحة الإخوان.

٨. أبو ليلي محمد بن ميران (١٩١٣-١٩٥٠)

هو محمد بن ميران المشهور بأبي ليلي، أشهر شعراء العربية التي شهدت كيرا لا بدون منازع. وكل من يقرؤون قصائده سيتعرفون بعلو كعبه في الشعرية التي تتميز بالعاطفة الصادقة والخيال البديع والتصوير الرائع. كان يكتب الشعر، ثم يرسلها إلى أصدقائه والجرائد. كان يتقن عدة لغات كما كان خطيبا و مترجما وكاتبًا ومصالحًا قديرا، مما جعله يترك المجال التدريسي وأثر العمل الاجتماعي السياسي. وهو ممن تزعم لتأصيل جذور الرابطة المسلمة Muslim League في مليبار، وصار أمينها المساعد. ولما بدأ إصدار جريدة تشندركا Chandrika، عين أبو ليلي رئيس التحرير المساعد لها، وإليه يرجع الفضل الأكبر في تطورها وتحويلها إلى جريدة يومية. غادر أبو ليلي إلى باكستان واستقر هناك وتوظف في السفارة السعودية بكراتشي ك مترجم. ومن مؤلفاته: بصيص من الرحمن، ورسالة إلى أبي سلمى. كانت قصائده مرآة صادقة تنعكس فيها الوقائع التي حدثت على المسارح الدينية في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين.

٩. محمد الفلكي الجمالي (١٩٠٩-١٩٨٢)

كان محمد الفلكي واحدا من فحول الشعراء في العربية الذي يعتني بالمعنى الغزيرة والأوصاف الجميلة، نظم ٢٨ قصيدة جميلة. ومنها: روضة العلوم، وتهنئة لمعونة الإسلام. وكذا له عديدا من القصائد في تهنئة الأفراد والجمعيات.

١٠. أبو الرحمة محمد الفيئي (١٩٠١-١٩٤٢)

ولد محمد الفيئي في منجيري، وكان قديرا بالعربية وماهرا في العلوم والفنون المختلفة. كان الفيئي واحدا من فحول الشعراء. وله تصانيف كثيرة وأشعار عديدة، ومعظم تصانيفه لا تزال مخطوطة. ومنها: الفوائد الفرائد وغرائب شتى، وتحذير الناس عن وسواس الخناس، وتعليقات الفيئي، وفتح الملئكة. والفيئي أول من قام بالتجديد في القرن العشرين في الشعر العربي في كيرا لا. كتب الأشعار الرائعة قبل كل من أبي ليلي والفلكي وغيرهما من معاصريه في كيرا لا.

١١. عبد القادر الفضفري (١٨٩٥-١٩٥٥)

كان الفضفري شاعرا عربيا في العصر الحديث، وله مؤلفات كثيرة، منها: سهل الصبية في دراسة اللغة العربية، وحاشية على شروح قطر الندى، وحاشية تخميس بانث سعاد، وديوان الأشعار الغربية. وكان له عادة أن ينسخ الأبيات التي يستحسنها من الكتب والمجلات في مذكرة خاصة، وكتابه "جواهر الأشعار" ثمرة ذلك العمل. وبهذا العمل الجليل حفظ كثيرا من أشعاره وأشعار معاصريه من الضياع. وهذا أول كتاب جمع فيه الأشعار العربية لأهل كيرالا.

١٢. محمد أبو الصلاح الباقوي (١٩١٩-١٩٩٦)

كان أبو الصلاح الباقوي شاعرا عربيا في العصر الحديث. كان مدرسا في دار العلوم بوازكاد، وعميدا لكلية روضة العلوم بفاروق في كالكوت. اشترك الباقوي في كتابة معجم "المنهل" العربي المليالمي. وله تصنيفات وأشعار، منها "الوجيز الوافي في العروض والقوافي"، و"الوجيز في إصلاح الحديث"، ومنظومة "معجم المفردات". كتب بعض الأشعار العربية في الأساليب الشعبية، وفي بحور الأناشيد العربية المليامية. اشتهرت مرثياته في الكاتب محمد المولوي، والشيخ أبي الصباح أحمد علي الأزهرى، والسيد أبي العلاء المودودي.

١٣. ن. ك. أحمد المولوي (ت. ٢٠٠٦)

أحمد بن كنجو محمد المعروف ب. ن. ك. أحمد المولوي شاعر عربي مشهور في كيرالا. ولد المولوي في كنور، وكان مدرسا عربيا في مدرسة حكومية، وكلية نصره الإسلام العربية في كنور. كان عضوا في جمعية علماء كيرالا، والرابطة المسلمة Muslim League. كانت له دراسات مهمة عن نهضة مسلمي كيرالا وحركة "كيرالا مسلم أيكيا سمكهم". له تهنئات ومرثيات عديدة في أعلام المسلمين داخل وخارج كيرالا. ومن مؤلفاته: "الشافى في علمي العروض والقوافي".

الوحدة الثانية: مختارات نثرية من الأدب العربي الهندي - ١

١. المدينة العجمية عند بعثة الرسول

: من كتاب "حجة الله البالغة" للشاه ولي الله الدهلوي

اعلم ! إن العجم والروم لما توارثوا الخلافة قرونا كثيرة، وخاضوا في لذة الدنيا، ونسوا الدار الآخرة، واستحوذ عليهم الشيطان، تعمقوا في مرافق المعيشة، وتباهوا بها، وورد عليهم حكماء الأفاق يستنبطون لهم دقائق المعاش ومرافقه، فما زالوا يعملون بها، ويزيد بعضهم على بعض ويتباهون بها، حتى قيل: إنهم كانوا يعيرون من كان يلبس من صناديدهم، منطقة أو تاجا قيمتها دون مائة ألف درهم، أولا يكون له قصر شامخ وآبن وحمام وبساتين، ولا يكون له دواب فارهة وغلما حسان، ولا يكون له توسع في المطاعم، وتجميل في الملابس، وذكر ذلك يطول وما تراه من ملوك بلادك يغنيك عن حكاياتهم.

فدخل كل ذلك في أصول معاشهم، وصار لا يخرج من قلوبهم إلا أن تمزج وتولد من ذلك داء عضال دخل في جميع أعضاء المدينة، وآفة عظيمة لم يبق منهم أحد من أسواقهم ورستاقهم وغنيهم وفقيرهم إلا قد استولت عليه، وأخذت بتلابيبه، وأعجزته في نفسه، وأهاجت عليه غموما وهموما لا أرجاء لها.

وذلك أن تلك الأشياء لم تكن لتحصل إلا ببذل أموال خطيرة، ولا تحصل تلك الأموال إلا بتضعيف الضرائب على الفلاحين والتجار وأشباههم والتضييق عليهم، فإن امتنعوا قاتلهم، وعذبهم، وإن أطاعوا جعلوهم بمنزلة الحمير والبقر يستعمل في النضح والدياس والحصاد، ولا تقتنى إلا ليستعان بها في الحاجات، ثم لا تترك ساعة من العناء حتى صاروا لا يرفعون رؤوسهم إلى السعادة الأخوية أصلاً، ولا يستطيعون ذلك.

وربما كان إقليم واسع ليس فيهم أحد يهمله دينه، ولم يكن ليحصل أيضا إلا بقوم يتكسبون بتهيئة تلك المطاعم والملابس والأبنية وغيرها، ويتركون أصول المكاسب التي عليها بناء نظام العالم، وصار عامة من يطوف عليهم يتكفون محاكاة الصناديد في هذه الأشياء، وإلا لم يجدوا عندهم حظوة، ولا كانوا عندهم على بال.

وصار جمهور الناس عيالا على الخليفة يتكفون منه تارة على أنهم من الغزاة والمدبرين للمدينة يترسمون برسومهم ولا يكون المقصود دفع الحاجة ولكن القيام بسيرة سلفهم. وتارة على أنهم شعراء جرت عادة الملوك بصلتهم، وتارة على أنهم زهاد وفقراء يقبح من الخليفة ألا يتفقد حالهم، فيضيق بعضهم بعضا، وتتوقف مكاسبهم على صحبة الملوك والرفق بهم وحسن المحاورة معهم والتملق منهم، وكان ذلك هو الفن الذي تتعمق أفكارهم فيه، وتضيع أوقاتهم معه.

فلما كثرت هذه الأشغال تشبّح في نفوس الناس هيئات خسيصة، وأعرضوا عن الأخلاق الصالحة. وإن شئت أن تعرف حقيقة هذا المرض، فانظر إلى قوم ليست فيهم الخلافة، ولا هم متعمقون في لذائذ الأطعمة والألبسة - تجد كل واحد منهم

بيده أمره، وليس عليه من الضرائب الثقيلة ما يثقل ظهره، فهم يستطيعون التفرغ لأمر الدين والملة، ثم تصور حالهم لو كان فيهم الخلافة، وملأوها، وسخروا الرعية، وتسلطوا عليهم.

فلما عظمت هذه المصيبة واشتد هذا المرض - سخط عليهم الله والملائكة المقربون، وكان رضاه تعالى في معالجة هذا المرض بقطع مادته. فبعث نبيا أميا صلى الله عليه وسلم لم يخالط العجم والروم، ولم يترسم برسومهم، وجعله ميزانا يعرف به الهدى الصالح المرضى عند الله من غير المرضى، وأنطقه بدم عادات الأعاجم وقبح الاستغراق في الحياة الدنيا والاطمئنان بها، ونفث في قلبه أن يحرم عليهم رؤوس ما اعتاده الأعاجم، وتباهوا بها كلبس الحرير والقسي والأرجوان واستعمال أواني الذهب والفضة وحلي الذهب غير المقطع والثياب المصنوعة فيها الصور وتزويق البيوت وغير ذلك، وقضى بزوال دولتهم بدولته، ورياستهم برياسته، وبأنه هلك كسرى، فلا كسرى بعده وهلك قيصر، فلا قيصر بعده.

٢. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (المقدمة الثانية)

: من كتاب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " لأبي الحسن عليّ الندوي

لم يكن انحطاط المسلمين أولاً، وفشلهم وانعزالهم عن قيادة الأمم بعد، وانسحابهم من ميدان الحياة والعمل أخيراً، حادثاً من نوع ما وقع وتكرر في التاريخ من انحطاط الشعوب والأمم، وانقراض الحكومات والدول، وانكسار الملوك والفاطحين، وانهزام الغزاة المنتصرين، وتقلص ظل المدينيات، والجذر السياسي بعد المد. فما أكثر ما وقع مثل هذا في تاريخ كل أمة، وما أكثر أمثاله في تاريخ الإنسان العام! ولكن هذا الحادث كان غريباً لا مثيل له في التاريخ، مع أن في التاريخ مثلاً وأمثلة لكل حادث غريب.

لم يكن هذا الحادث يخص العرب وحدهم، ولا يخص الشعوب والأمم التي دانت بالإسلام، فضلاً عن الأسر والبيوت التي خسرت دولتها وبلادها، بل هي مسألة إنسانية عامة لم يشهد التاريخ أتعس منها ولا أعم منها. فلم عرف العالم حقيقة هذه الكارثة، ولو عرف مقدار خسارته ورزيبته، وانكشف عنه غطاء العصبية، لاتخذ هذا اليوم النحاس - الذي وقعت فيه - يوم عزاء ورتاء، ونياحة وبكاء، ولتبادلت شعوب العالم وأمه التعازي، وليست الدنيا ثوب الحداد. ولكن ذلك لم يتم في يوم، وإنما وقع تدريجياً في عقود من السنين. والعالم لم يحسب إلي الآن الحساب الصحيح لهذا الحادث، ولم يقدره قدره، وليس عنده المقياس الصحيح لشقائه وحرمانه.

إن العالم لا يخسر شيئاً بانقراض دولة ملكت حيناً من الدهر، وفتحت مجموعاً من البلاد والأقاليم، واستعبدت طوائف من البشر، ونعمت وتزففت علي حساب الضعفاء والمحكومين. إن الإنسانية لا تشقى بتحول الحكم والسلطان والرفاهية والنعيم من فرد إلي فرد آخر من جنسه، أو من جماعة إلي جماعة أخرى مثلها في الجور والاستبداد وحكم الإنسان للإنسان، وإن هذا الكون لا يتقجع ولا يتألم فقط بانحطاط أمة أدركها الهرم وسرى فيها الوهن، وسقوط دولة تأكلت جذورها وتفككت أوصالها، بل بالعكس تقتضي ذلك سنة الكون، وإن دموع الإنسان لأعز من أن تفيض كل يوم علي ملك راحل وسلطان

زائل، وإنه لفي غني وإنه لفي شغل عن أن يندب من لم يعمل يوماً لإسعاده، ولم يكدح ساعة لصالحه، وإن السماء والأرض لتقسوان كثيراً علي هذه الحوادث التي تقع ووقعت كل يوم ووقعت ألوف المرات. ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٥-٢٩).

بل إن كثيراً من هؤلاء السلاطين والأمم كانوا كلاً علي ظهر الأرض، وويلا للنوع الإنساني، وعذابا للأمم الصغيرة والضعيفة، ومنبع الفساد والمريض في جسم المجتمع البشري يسري منه السم في أعصابه وعروقه، ويتعدي المرض إلي الجسم السليم، فكان لا بد من عملية جراحية، وكان قطع هذا الجزء السقيم وإبعاده من الجسم السليم مظهراً كبيراً لربوبية رب العالمين ورحمته، يستوجب الحمد والامتنان من جميع أعضاء الأسرة الإنسانية، بل من جميع أفراد الكون. ﴿فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٤٥). ولكن لم يكن انحطاط المسلمين وزوال دولتهم وركود ربحهم – وهم حملة رسالة الأنبياء، وهم للعالم البشري كالعافية للجسم الإنساني – انحطاط شعب أو عنصر أو قومية، فما أهون خطبه وما أخف وقعه، ولكنه انحطاط رسالة هي للمجتمع البشري كالروح، وانهييار دعامة قام عليها نظام الدين والدنيا.

فهل كان انحطاط المسلمين واعتزالهم في الوقت مما يأسف له الإنسان في شرق الأرض وغربها، وبعد قرون مضت علي الحادث؟ وهل خسر العالم حقاً – وهو غني بالأمم والشعوب – بانحطاط هذه الأمة شيئاً؟ وقيم كانت خسارته ورزقته؟ وماذا آل إليه أمر الدنيا، وماذا صارت إليه الأمم بعدها تولت قيادتها الأمم الأوروبية حتى خلفت المسلمين في النفوذ العالمي، وأسست دولة واسعة علي أنقاض الدولة الإسلامية؟ وماذا أثر هذا التحول العظيم في قيادة الأمم وزعامة العالم في الدين والأخلاق والسياسة والحياة العامة وفي مصير الإنسانية؟

وكيف يكون الحال لو نهض العالم الإسلامي من كبوته، وصحا من غفوته، وتملك زمام الحياة؟

ذلك كله ما نحاول الإجابة عنه في الصفحات الآتية.

الوحدة الثالثة: مختارات نثرية من الأدب العربي الهندي - II

٣. في بدء ظهور الإسلام في مليبار

: من كتاب "تحفة المجاهدين" للشيخ زين الدين المخدوم الصغير-

وذلك أن جمعا من اليهود والنصارى دخلوا بلدة من بلاد مليبار يقال لها كدنكلور وهي مسكن ملكها في مركب كبير بعيالهم وأطفالهم، وطلبوا منه الأراضي والبساتين والبيوت وتوطنوا فيها، وبعد ذلك بسنين وصل إليها جماعة من فقراء المسلمين معهم شيخ قاصدين زيارة قدم أبينا آدم عليه السلام بسيلان، فلما سمع الملك بوصولهم طلبهم وأضافهم وسألهم عن الأخبار، فأخبر شيخهم بأمر نبينا محمد صلي الله عليه وآله وسلم وبدين الإسلام، ومعجزة انشقاق القمر. فادخل الله سبحانه في قلبه صدق النبي صلي الله عليه وآله وسلم، وأمر الشيخ بأن يرجع هو وأصحابه إليه بعد زيارة قدم آدم عليه السلام ليخرج هو معهم، ومنعه أن يحدث بهذه السر المليباريين، ثم إنهم سافروا إلي سيلان، ورجعوا إليه فأمر الملك الشيخ بأن يهيئ مركبا لسفره من غير أن يعلم به أحد، وكان في البندر المذكور مراكب كثيرة للتجارة الغرباء، فقال الشيخ لصاحب مركب: "أنا وجماعة من الفقراء يتوقعون أن يركبوا في مركبك". فرضي بذلك صاحب المركب، ولما قرب وقت السفر نهى الملك أهل بيته ووزرائه أن يدخل أحد منهم عليه مدة سبعة أيام، وعين في كل بلدة من بلدانه شخصا وكتب لكل كتابا مفصلا بتعيين الحدود حتى لا يتجاوز أحد عن حده الذي عينه. والحكاية في ذلك مشهورة عند كفرة مليبار وحدها من الجنوب كمهرى، ومن الشمال كانجركوت ثم إن الملك ركب مع الشيخ والفقراء في المركب ليلا، وسار المركب حتى وصل إلي فنديرينه ونزل فيها ولبت ثلاثة أيام ومنها سار المركب حتى وصل إلي شحر، ونزل فيها هو ومن معه، وبعد مدة طويلة رافقه وجماعة في السفر معه إلي مليبار لعمارة المساجد. وإظهار دين الإسلام فيها ثم إن الملك مرض واشتد مرضه فوصي أصحابه الذين رافقوه وهم شرف بن مالك، وأخوه من الأم مالك بن دينار، وابن أخيه مالك بن حبيب من مالك وغيرهم، بأن لا يبطأوا سفر الهند بعد موته، فقالوا: "نحن لا نعرف موضعك، ولا حد ولايتك، وإنما أردنا السفر بصحبتك". فتفكر الملك ساعة وكتب لهم ورقة بخط مليبار، عين فيها مكانه وأقربائه، وأسماء ملوكها، وأمرهم أن ينزلوا في كدنكلور أو درمفتن أو فنديرينه أو كولم. وقال لهم: "لا تخبروا بشدة مرضي ولا بموتي إن مت أحدا من المليباريين". ثم إنه توفي رحمه الله برحمة واسعة. ومن بعد ذلك بسنين سافر شرف بن مالك، ومالك بن دينار، ومالك بن الحبيب، وزوجته قمرية وغيرهم مع الأولاد والأتباع إلي مليبار في مركب فوصل إلي كدنكلور، ونزلوا فيها وأعطوا ورقة الملك المتوفى إلي الملك الذي فيها، وأخفوا خبر موته. فلما قرأها وعلم مضمونها، أعطاهم الأراضي والبساتين علي مقتضى ما كتبه، فأقاموا فيها وعمرها فيها مسجدا، وتوطن فيها مالك بن دينار وأقام ابن أخيه مالك بن حبيب إلي كولم بماله وزوجته وبعض أولاده وعمر بها مسجدا. ثم خرج منها بعدما خل زوجته فيها إلي هيلي ماراوي وعمر بها مسجدا، ثم خرج إلي باكنور وعمر بها مسجدا، ثم رجع منها إلي منجلور وعمر بها مسجدا، ومنها إلي درمفتن وعمر بها مسجدا، ومنها إلي كانجركوت وعمر بها مسجدا، ومنها إلي هيلي ماراوي وأقام بها ثلاثة أشهر، وعمر بها ثلاثة أشهر، ومنها إلي حرفتن

وعمر بها مسجداً، ومنها إلى درمفتن وعمر بها مسجداً، ومنها إلى فندرينه وعمر بها مسجداً، ومنها إلى شاليات وعمر بها مسجداً وأقام بها مدة خمسة أشهر. ومنها إلى كدنكلور عند عمه مالك بن دينار. ثم سافر منها إلى المساجد المذكورة، وصلى في كل مسجد منها، ورجع إلى كدنكلور شاكر الله وحامد الله بظهور دين الإسلام في أرض ممثلة كفرأ، ثم خرج مالك بن دينار، ومالك بن حبيب مع الأصحاب والعبيد إلى كولم، وتوطنوا فيها غير مالك بن دينار وبعض أصحابه فإنهم سافروا إلى شحر وزاروا قبر الملك المتوفى فيها، ثم سافر مالك إلى خراسان وتوفي فيها.

ورجع مالك بن حبيب مع زوجته بعدما ترك بعض أولاده في كولم إلى كدنكلور وتوفي فيها هو وزوجته. هذا أول ظهور الإسلام في بلاد مليبار، وأما تاريخه فلم يتحقق عندنا، وغالب الظن أنه كان بعد المائتين من الهجرة النبوية علي صاحبها أفضل الصلوة والتحية. وأما ما أشهر عند مسلمي مليبار أن إسلام الملك المذكور كان في زمان النبي صلي الله عليه وآله وسلم برؤية انشقاق القمر ليلة، وأنه سافر إلى النبي صلي الله عليه وآله وسلم وتشرف بلقباه، ورجع إلى شحر قاصد المليبار مع الجماعة المذكورين، وتوفي فيها، فلا يكاد يصح شيء منها، والمشهور الآن بين الناس أنه مدفون في ظفار لا شحر وقبره مشهور هنالك يتبرك به، وأهل تلك الناحية يسمون له السامري، وخبر غيبة الملك المذكور مشهور عند جميع أهل مليبار المسلمين والكفرة إلا أن الكفرة يقولون عرج به إلى فوق ويتوقعون نزوله. ولذلك كانوا يهيئون في موضع كدنكلور قيقابا وماءا ويسرجون فيه في ليلة معروفة عندهم ومشهور عندهم أيضاً أنه قسم ولايته عند قرب سفره علي أصحابه إلا السامري الذي كان أول رعاة بندر كاليكوت، فإنه كان غائباً عند القسمة فلما حضر أعطاه سيفاً، وقال له: "اضرب بهذا وتملك"، فعمل بمقتضى قوله فتملك كاليكوت. وبعد زمان سكن فيها المسلمون ووصل إليها التجار، وأصحاب الصنائع من أطراف شتي، وكثرت التجارة فيها حتى كبرت، وصارت مدينة عظيمة اجتمع فيها صنوف الناس من المسلمين والكفار، وظهرت قوة السامري فيما بين رعاة مليبار ورعاتها كلهم كفرة وفيهم القوي والضعيف، ولكن لا يأخذ القوي بلد الضعيف بقوته وذلك بوصية ملكهم الكبير الذي أسلم ودعائه بذلك وببركة النبي صلي الله عليه وآله وسلم، وببركة دينه، فإن منهم من يكون له مملكة فرسخ، ومنهم من يكون له زيادة علي ذلك، وفيهم من يكون له من العساكر مائة أو دونها أو مائتان أو ثلاثمائة إلى ألف إلى خمسة آلاف وعشرة آلاف إلى ثلاثين ألفاً إلى مائة ألف وأكثر، وبعض البلدان يشترك فيها اثنان أو ثلاثة أو أكثر، مع أن بعضهم أقوى وأكثر عسكرياً من الآخر، ويقع الحرب والشحناء بينهم ومع هذا لا يتغير أمر الشركة وأكثرهم عسكرياً ترودي راعي كولم وكمهري وما بينهما وفي شرقيهما ممالك كثيرة، ثم كولتري راعي هيلي ماراوي وجرفتن وكننور وادكار ودرمفتن وغيرها وأكثرهم شوكة وأشهرهم ذكر السامري، وله ظهور فيما بينهم وذلك ببركة دين الإسلام وحبه للمسلمين وإكرامه لهم خصوصاً الغرباء. وأما الكفرة فيزعمون أن ذلك بإعطاء الملك المتقدم ذكره السيف له، وذلك السيف موجود عند السامري إلى الآن علي ما يزعمون محترماً ومعظمياً ويحمل بين يديه إذا خرج لحرب أو مجمع عظيم، وإذا حارب السامري أحد رعاتها الذين هم غير الأقوياء بسبب من الأسباب يعطيه المال، أو بعض المملكة إذا خطر، وإذا لم يعط لا يتسلط قهراً مع قدرته علي ذلك، ولو طال الزمان وذلك لأن أهل مليبار يراعون العادات والرسوم القديمة ولا يخالفونها إلا نادراً. وأما غير السامري فليس له في المحاربة شيء إلا إهلاك النفوس وتخريب البلدان إن أمكن.

٤ - نظرة الإسلام إلى الأديان الأخرى

: من كتاب "الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية" للدكتور محيي الدين الألواني-

يقرر القرآن مبدأ التسامح والمحبة الذي دعا إليه الإسلام بالآيات التالية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وجاء الإسلام من الأحكام بما يضارع في سماحته وسموه ما جاءت به في الأديان جميعا وذلك في عصر همجي نسبيا، يتأرجح فيه العالم بأنواع من الكروب الاجتماعية والحروب العنصرية والقرون الدينية.

وثبتت الشريعة الإسلامية حرية العقيدة وتكفل حرية العبادة لأهل الديانات الأخرى الخاضعين لحكم الإسلام. وكان المسلمون يعرضون علي الناس الدخول في الإسلام، ولكنهم لم يحملوهم قسرا علي اعتناقه قط، وكان دخولهم فيه يخولهم المساواة في الحقوق مع الفاتحين. ويدل التاريخ علي أن الدول والأمم المغلوبة لهم كانت تُعفي من الشروط التي كان كل الفاتحين يفرضونها دائما منذ بدء الخليفة إلي عهد محمد ﷺ.

ولم يكتف الإسلام بالدعوة إلي حرية العقيدة وحرية العبادة، بل دعا إلي التسامح في الدين والسياسة كحكم شرعي، وحرّم علي المسلمين التعرض لدين الغير وحرية الدينية. وكان الجدل في الدين أبغض شيء إلي الإسلام، كما يشير إليه القرآن الكريم: ﴿فَلَمْ تُحَاجُّوْا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. ولا يسمح الإسلام لأتباعه أن يتعرضوا قط لعقائد أيّ دين من الأديان في أي حال من الأحوال، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وأما الأحكام الرئيسية التي تقوم عليها قوانين الحرب في الإسلام تدل علي الحكمة التي تتطوي عليها النظرة الإنسانية في الإسلام، فوضع القرآن هذه القوانين علي القاعدة العامة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. ﴿فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾. ﴿إِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. ولم تسر روج الاعتداء والطمع قط إلي الإسلام، فكان المسلمون في عز أيامهم علي استعداد دائم لأن يقولوا لأعدائهم: "لا تقاتلونا وحالفونا نكن أصدقاءكم أو ادخلوا في ديننا تتمتعوا بكل ما نتمتع به من الحقوق والامتيازات ...".

ويذهب بعض خصوم الإسلام إلي أن دخول الناس في الإسلام في معظم البلاد التي فتحها المسلمون يعد دليلا علي تعصب المسلمين وإكراههم الأمم الأخرى علي اعتناق الإسلام، واستدلّ البعض علي ذلك بدخول معظم الفرس في الإسلام حين فتح المسلمين بلاد فارس وسقطت مملكة الأكاسرة فيها. ولكن هؤلاء الخصوم ينسون - أو يتناسون - الأوضاع التي كانت ترزح البلاد تحتها حين الفتح الإسلامي، إذ لم يكن فيها أي أثر للدين، فكانت عامة الناس تننّ تحت وطء آفتين هما من أسوأ الآفات التي يواجهها أي مجتمع إنساني.

وأولهما: آفة الكهنة الذين انحدروا إلي بؤرة الفساد من الشعوذة والدجل والخرافات والترهات التي يمجه العقل السليم.

وثانيهما: آفة حكم المترفين الذين انغمسوا في أنواع من الفسق والفجور.

وهكذا سرى الانحلال في جسم المجتمع من كل النواحي. فلم يكن المسلمين يدخلون البلاد ويبشرون بدين الحكمة والإنسانية، ودين القانون والنظام، ودين المساواة والعدالة، حتى دخل الناس فيه أفواجا، واصطبغت بلاد فارس بالصيغة الإسلامية.

ويقول المؤرخ الفرنسي نيبور في مؤلف له عن تاريخ العرب والمسلمين (أنه لا مناص لأي دين من الأديان أن يجنح أتباعه للحرب في إحدى مراحل حياته وكذلك كان الحال في الإسلام. ولكن الزعم بأن المسلمين هدفوا إلي بث الدعوة بالقوة أو أنهم كانوا أكثر عدوانا من غيريهم، زعم يجب إنكاره إنكارا تاما). وفي وسع أي باحث أن يحلل هذه العبارة ويحكم علي فحواها.

وإذا درسنا الروح السياسية لأي دين من الأديان، لا نجد دينا أكثر تسامحا نحو أهل الديانات الأخرى من الإسلام. ومما لا شك فيه أن بعض الحكام المسلمين هنا وهناك أبدوا بعض التشدد بمقتضيات أمن الدولة واستقرارها، كما عملوا علي تحقيق نوع من الوحدة الدينية، ولكن جوهر الروح السياسية للإسلام يدعو دائما إلي التسامح المطلق. ويلخص هذا الجوهر في العهد الذي أعطاه النبي ﷺ لليهود بعد وصوله إلي المدينة، وكذلك الكتاب المشهور الذي أرسله لنصارى إلي نجران والبلاد المجاورة، بعد أن استتب الأمر للإسلام في شبه الجزيرة العربية. وقد نص الرسول ﷺ في الوثيقة التي وضعها بعد قدومه إلي المدينة علي الحرية الدينية الكاملة لجميع أهل الأديان، كما أنها تجمع شمل العناصر المتنافرة، وكذلك بين فيها ما للمسلمين وما عليهم فيما بينهم ونحو الآخرين. وتعد هذه الوثيقة أول دستور مكتوب في تاريخ البشرية، ينص علي حرية الأديان وينظم العلاقات بين الأفراد والجماعات ويكون حلفا منظما يجمع العناصر المختلفة في دولة واحدة.

وقد بشر الإسلام جميع الملل والطوائف باسم التوحيد للخالق الواحد والمساواة الإنسانية العامة والديمقراطية المطلقة. وكان من الطبيعي أن ينضوي المضطهدون فكريا أو اجتماعيا تحت لواء الدعوة الإسلامية التي حررت الفكر الإنساني من رق الكهنوت ووطأة الرجعية، فرحب أحرار الفكر من جميع الديانات في العالم بمقدم الدين الذي حقق حكم التسامح الديني والعدل الاجتماعي بأوسع معانيه، فقد دخل فريق منهم في الإسلام وأثر فريق آخر أن يعيش في ظل التسامح الوارف الذي دعت إليه تعاليمه التي تقوم علي دعامة قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾.

الوحدة الرابعة: مختارات شعرية من الأدب العربي الهندي

١- ترياق لداء الفؤاد - الشاعر : ن.ك. أحمد المولوي

حينما تأهل زميله في صباحه محي الدين الألوائي لشهادة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة الأزهر بمصر سنة ١٩٧١، كتب إليه الشاعر قصيدة تهنئة:

الخلّ إن يفِ بغية المرتاد	وذخيرة ليست بذات نفاذ
إن الحبيب الألوائي الذي	يدعى بمحي الدين كان عمادي
ولقد سرى طيف الحبيب وإنني	أنا ذو شخير في عميق رُقَاد
فإنّي خُيلَ أنه لم يَختم	بعثُ الإله الرّسلَ للإرشاد
هل طيفُهُ ملكٌ بوحى جاعني	ليدلني أني نبيّ هاد
أبمثل هذا الطيف ضلّ من افترى	دعوي النبوة أم بمحض عناد
الطيف ارقني قليلي لم يزل	من أجل هذا الطيف ليل سهاد
الطيف ذكّرني الحبيب وإنه	بالعهد واف منجز الميعاد
الطيف مثله أديبا جهبذا	يحكي أدبيّي وائل وإياد
الطيف مثله خطيبا حاكيا	إذ قام يخطب طارق بن زياد
الطيف مثله وقورا سيّدا	ذا هيبة من أعظم القواد
متحلّيًا بجميل خلق جاذب	لجميع من يلقي ويشرّ باد
وأخا وفيا مرفدا لصديقه	عند الشدائد أعظم الإرفاد
الطيف مثله يجاهد محييا	للدين كل الوقت حق جهاد
الطيف ذكّرني سنين قضيتها	أنا والحبيب بأرض "وازگاد"
عشنا هناك كأننا عضوان من	جسد بحسن تراحم وتقاد
روحا لجسمي كان حينئذ فمنّ	بعد الفراق ظللتُ مثل جماد
لأروح فيّ ولا تطور هل بلا	روح نما جسد من الأجساد
طريا حمام وبلغن إلي أخي	مني سلام أخوة ووداد
واقصصُ علي محبوب قلبي شاديا	قصصي جميعا يا حمام الشادي
يا محيي الدين الموقر إنما	لُفياك يوما ما أهم مُرادي
ذكرى أويقات قضيناها معا	قد أكمد تني غاية الإكباد
تالله إن نوى حبيب صادق	في حبة لمديبة الأكباد
طالت أحايين التباعد بيننا	طولا فيا ويلي بطول بعداد
من صبية كنا أوان الوصل يا	خلي نوي شعر شديد سواد

والآن بعد فراقتنا شبننا وقد
قلبي هيوم يا حبيبي إنه
أمنَ المحال لقاؤنا فمتى به
لو نلت منك رسالة لوجدتها
صرنا من الآباء والأجداد
إياك يذكر دائما وينادي
أحظي ولو في مركب أو ناد
يا خل ترياقا لداء فؤادي

٢- مولانا أبو الصباح أحمد علي - الشاعر : محمد أبو الصلاح الباقوي

لما توفي أبو الصباح أحمد عليّ مؤسس معاهد العلوم المتنوعة بفاروق، منها روضة العلوم العربية، تأسف عليه أبو الصلاح، وكتب هذه المرثية البديعة :

توقّي وهو شمس للصباح
وأبقي خالد الأثار فينا
تغيب الشمس لكن ما وجدنا
إذا كان الصباح له افتخار
وكان الشيخ للمهوف كهفا
وما من مشكل يأتيه إلا
فقيد العلم والآداب لسنا
أتى بجلال الأعمال مما
تخرج حاملا قبسا مضيئا
إلي هند فطاف بقاعها كالـ
أخيرا حلّ في فاروق ألفي
فأسس روضة للعلم توتّي
فكانت معدن العلماء جاؤوا
فأبقى أسوة للآخرين
وكان الشيخ ذا عزم كبير
وقام بمعجز الأعمال لما
خسرنا ماضيا في الأمر بحرا
عليه تحية الرحمن تترى
وخلد ذكره المنان فينا
ويهدينا إلي مرقى الفلاح
ضياء مسفرا نهج الصلاح
لشمس بعدها ضوء الصباح
بأضواء فأنت أبو الصباح
وللمندوب خير المستراح
يرى في ذلك حلا ذا ارتياح
نرى في الحي جابر ذا الجراح
غدت تبدي لنا جو الصلاح
لجامع أزه للجهل ماح
سراج يُضيء في كل النواحي
بها جوا صفيا للصباح
ثمارا في الغدوّ وفي الرّواح
كواكب زينت جو الصلاح
لتأسيس المعاهد والمراح
ومقداما سريعا كالرياح
أجالوها فواجة بالكفاح
ومعوانا نشيطا ذا انشراح
برحمات غوار ذات راح
وأكرمّه بأسعد مستراح

المصادر المهمة:

١. أحمد، أشفاق، (٢٠٠٣)، مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين
 ٢. الألوائي، محيي الدين، الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، دمشق: دار القلم
 ٣. صديق، محمد، (٢٠٠٥)، المختصر في تاريخ الأدب العربي، ترونتبرام: مطبع أبي أمينة
 ٤. الفاروقي، جمال الدين، وغيره، (٢٠٠٨)، أعلام الأدب العربي في الهند، كالكوت: مكتبة الهدى
 ٥. القاسمي، عبد الغفور عبد الله، (٢٠٠٠)، المسلمون في كيرالا، ملابرام: مكتبة أكمل
 ٦. محمد، أبو بكر، (٢٠٠٧)، مقاومة الاستعمار البرتغالي في مليبار، كلكوت: مكتبة الهدى
 ٧. محي الدين، ويران، (٢٠٠٣)، الشعر العربي في كيرالا: مبدؤه وتطوره، كالكوت: أرينت
 ٨. الندوي، أبو الحسن علي الحسن، (١٩٩٨)، المسلمون في الهند، لكهنو: المجمع الإسلامي العلمي
9. Muhammad, K.M., (2005), Arabi Sahityatin Keralatinte Sambhavana, Malappuram: Ashrafi Books
 10. Sulaiman, M, (2007), Dr. Mohiaddin Alwaye: his life & works, Thiruvananthapuram: Kerala Arabic Literary Academy.
 11. Troll, Christien W., Islam in India, New Delhi: Vikas Publishing House.
 12. <http://www.moslimonline.com/?page=artical&id=1931>